



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق تأمينة

مصباح كمال*: استدراك حول إدارة الخطر والأشكال الأولية لها في الحضارة السومرية

أولئك الذين لا يستطيعون تذكر الماضي محكوم عليهم بتكراره.
جورج سانتيانا (1863-1952)

(1) تطور المفهوم الحديث لإدارة الخطر

قبل أكثر من ثلاثة عقود قدمنا تعريفاً مُكثفاً لإدارة الخطر بهذه العبارات:

إدارة الخطر في جوهرها تتيح لنا كأفراد وكمؤسسات التعايش مع احتمالات المستقبل بروية وبعقلانية كي نتجنب الآثار المستقبلية غير المرغوبة ونضمن سلامة البشر والأصول والموارد. وبهذا المعنى فإن إدارة الخطر لا تقيم وزناً للحظ أو الإيمان والاعتكاف على الغيب.¹

كان الراحل سليم الوردني رائداً في التعريف بإدارة الخطر في العراق من خلال كتابه **إدارة الخطر والتأمين**.² وكان سباقاً في التمييز بين "التأمين" و "إدارة الخطر" رغم اشتراكهما بموضوع التعامل مع الأخطار وسبل معالجتها:

¹ نيل كروكفورد، **مدخل إلى إدارة الخطر**، ترجمة تيسير حمد التريكي ومصباح كمال، (طرابلس: شركة ليبيا للتأمين، ط2، 1990. صدرت ط1 سنة 1990)، مقدمة المترجمان، ص 10.

² د. سليم علي الوردني، **إدارة الخطر والتأمين** (بغداد: مكتب الريم، 1999).



أوراق تأمينة

ولكن هذا لا ينبغي أن يقودنا بالمقابل إلى الاعتقاد أن إدارة الخطر تقع ضمن دائرة التأمين. فإدارة الخطر -بمفهومها المعاصر- إطار واسع وشامل لمعالجة الأخطار التي تواجهها المنشأة أو أية وحدة اقتصادية. بينما يمثل التأمين أحد الأساليب والقنوات الرئيسية لإدارة التأمين.³

يكرّس الوردى بعض صفحات الفصل الثاني من كتابه إلى عرض نشوء إدارة الخطر، ويذكر كمثال لإدارة الخطر في التاريخ القديم ما يُروى عن ممارسات التجار الصينيين القدامى للتحوط من آثار الخطر.⁴ بعدها يقدّم مسحاً سريعاً لمقدمات ظهور المفهوم المعاصر لإدارة الخطر من خلال دراسات متخصصة في خمسينيات القرن الماضي.⁵

³ الوردى، ص 38. في حقيقة الأمر فإن التأمين، ضمن عملية إدارة الخطر، يأتي في نهاية العملية، بعد تشخيص الخطر وقياسه وسبل السيطرة عليه، كأحد وسائل تحويل العبء المالي المترتب على الخطر إلى شركة التأمين؛ هذا إن لم تلجأ المنشأة إلى تخصيص صندوق لمواجهة العبء أو تأسيس شركة تأمين مقبوضة خاصة بها.

⁴ الوردى، ص 34-37. فات على الدكتور الوردى ذكر ممارسات مماثلة في العراق القديم. راجع: مصباح كمال، الأشكال الأولية للتأمين في العراق القديم ومباحث أخرى (مكتبة التأمين العراقي، 2023).

⁵ لعرض آخر لنشوء مفهوم إدارة الخطر راجع: H. Felix Kloman, A Brief History of Risk Management,

<file:///C:/Users/misba/Downloads/Chapter2.pdf>

للتعريف بالتاريخ المعاصر لإدارة الخطر راجع:

The Geneva Papers on Risk and insurance, 7 (No 23, April 1982), 169-179 The Bibliography and History of Risk Management: Some Preliminary Observations by G. Neil Crockford

<https://link.springer.com/content/pdf/10.1057/gpp.1982.10.pdf>

من بين الأمور المهمة التي يشرحها الكاتب هو عدم التمييز الدقيق بين حدود التأمين وحدود إدارة الخطر والنظر إلى الأخير وكأنه امتداد للتأمين. ويقتبس كمثل على ذلك أول كتاب عن موضوع إدارة الخطر في المنشآت:

Robert Mehr & Bob Hedges, Risk Management in the Business Enterprise (Homewood, Illinois: Irwin, 1963)

تميل معظم الكتابات التي تؤرخ لمفهوم إدارة الخطر إلى إرجاع أصولها لعشرينيات القرن العشرين. ونقرأ في الموسوعة الحرة بهذا الشأن ما يفيد أن إدارة المخاطر في الأدبيات العلمية والإدارية منذ العشرينيات بدأت في



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق تأمينة

من منظور التاريخ الاقتصادي فإن ظهور إدارة الخطر كمفهوم للتعامل مع المستقبل وما يخبئه من تطورات وتقلبات، من مصادر مختلفة، طبيعية وبشرية، ارتبط بعصر النهضة كما يقول بيتر بيرنستين مؤلف كتاب **ضد الأرباب**.⁶ في دراسة له لخص هذا التاريخ بالقول

يبدأ تاريخ إدارة المخاطر في عصر النهضة، عندما انفصل الخيال البشري عن قيود الماضي وجعلت المعتقدات الأساسية الراسخة موضوعاً للتحقيق والتحدي. لقد شهد هذا العصر الاضطراب الديني، والرأسمالية الناشئة، والحماس الجامح للعلم والمستقبل.⁷

لكن تاريخ الأشكال الأولية لإدارة الخطر، السابقة لظهور مؤسسة التأمين، تمتد عميقاً في حضارات العديد من الشعوب، ومنها حضارة وادي الرافدين.

(2) إدارة الخطر والتأمين في التراث العربي

الظهور في هذه الفترة، وأصبحت فرعاً علمياً متميزاً في خمسينيات القرن الماضي، عندما بدأت المقالات والكتب تنشر بعنوان "إدارة المخاطر" وكانت معظم الأبحاث تتعلق في البداية بالتمويل والتأمين.

https://en.wikipedia.org/wiki/Risk_management#:~:text=9%20External%20links-Introduction,related%20to%20finance%20and%20insurance

⁶ Peter L. Bernstein, *Against the Gods: The Remarkable Story of Risk* (John Wiley & Sons, 1996)

⁷ Peter L. Bernstein, "The New Religion of Risk Management," <https://hbr.org/1996/03/the-new-religion-of-risk-management>
From the Magazine (March–April 1996)

A version of this article appeared in the [March–April 1996](#) issue of *Harvard Business Review*.

أنظر أيضاً مصباح كمال، ترجمة وإعداد، **مقالات ومراجعات حول الخطر والتأمين** (بيروت: منتدى المعارف، 2019)، فصل "وجهة نظر تاريخية حول مصطلح 'الخطر المعنوي'" ص 97-104.



أوراق تأمينة

قبل أكثر من عقد كتبت الآتي في تقديمي لترجمة مقاطع من دراسة باللغة الإنجليزية يرد فيها ذكر شريعة حمورابي والجذور الأولية للتأمين:

لعل المتمرسين في البحث التاريخي لحضارة العراق القديم يقومون بدراسة الإرث القديم لإظهار جذور فكرة التأمين وخاصة في التعامل التجاري الخارجي الذي أنشأ الحاجة لأشكال أولية من إدارة الخطر توزيعاً وتحويلاً له من خلال المشاركة في المخاطرة التجارية.⁸

وفي وقت لاحق كتبت تعليقاً حول إدارة الخطر في التراث العربي:

ويشهد تاريخ العرب وجود أشكال أولية، تؤشر على بدايات إدارة الخطر. إدارة الخطر، رغم حداثة كموضوع مستقل، فإنها موجودة، وبأشكال مختلفة، كممارسة للتحوط من آثار ما يمكن أن يحصل مستقبلاً للناس وأموالهم من خسائر وأضرار. نقرأ التالي في كتاب:

"من قديم كانت جزيرة العرب طريقاً عظيماً للتجارة، فطوراً تنقل غلاتها إلى ممالك أخرى كالشام ومصر، وأهم هذه الغلات البخور الذي يكثر في الجنوب في ظفار؛ وطوراً تنقل غلات بعض الممالك إلى البعض الآخر، ذلك لأن طريق البحر لم يكن طريقاً آمناً، فالتجأ التجار إلى البر يسلكونه، ولكن طريق البر نفسه كان طويلاً وكان خطراً، لذلك أحاطوه بشيء من العناية، كأن تخرج التجارة في قوافل، وأن تسير القوافل في أزمنة محددة وفي طريق محددة."

⁸ مصباح كمال، البحث في الأشكال الأولية للتأمين في العراق القديم ومباحث أخرى، (مكتبة التأمين العراقي، 2003)، فصل "موقع شريعة حمورابي في تاريخ التأمين"، ص 82-83.



أوراق تأمينة

(أحمد أمين، فجر الإسلام، بيروت: دار الكتاب العربي، ط 11، 1975، ص 11). [التأكيد من عندي]⁹

وذكرت أيضاً في نفس التعليق ما ورد في القرآن بشأن أحد الأشكال الأولية لإدارة الخطر:

ولنا في قصة النبي يوسف ومشورته لفرعون مصر عن خطر سنوات المجاعة مثلاً جيداً عن إدارة هذا الخطر. وبهذا الشأن نقرأ التالي في القرآن (سورة يوسف: 43-49)

"قَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ. قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ. وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ. يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ. قَالَ تَزَرَّعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ."

التفكير في المستقبل وما قد يحمله من آثار واستنباط الوسائل المناسبة للتعامل مع تصور الآثار نشاط بشري يتخذ أشكالاً عديدة.¹⁰

⁹ مصباح كمال، مواقف دينية تجاه التأمين: مقاربات نقدية، (مكتبة التأمين العراقي، 2021)، فصل "هل هناك عقد للتأمين في الفقه الإسلامي؟"، ص 140-146.

¹⁰ مصباح كمال، مواقف دينية تجاه التأمين: مقاربات نقدية، ص 144.



أوراق تأمينة

هناك عيّات أخرى للأشكال الأولية للتأمين وإدارة الخطر في التراث العربي أشرنا إليها في دراسات سابقة.¹¹

(3) الأصل في الحضارة السومرية

الاسطورة القرآنية وردت أيضاً في العهد القديم. وبودي في هذا الاستدراك التأكيد على أسبقية الحضارة السومرية في رسم معالم الأشكال الأولية لإدارة الخطر قبل من قام بتدوين العهد القديم والقرآن، وتقديم بعض الملاحظات بهذا الشأن.

حلم فرعون وتفسير يوسف له ورد في الفصل 41 من العهد القديم. نقتبس هنا مقاطع من هذا الفصل.

25 فَقَالَ يُوسُفُ لِفِرْعَوْنَ: «حُلْمُ فِرْعَوْنَ وَاحِدٌ. قَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ بِمَا هُوَ صَانِعٌ. 26 أَلْبَقَرَاتُ السَّبْعِ الْحَسَنَةُ هِيَ سَبْعُ سِنِينَ، وَالسَّنَائِلُ السَّبْعُ الْحَسَنَةُ هِيَ سَبْعُ سِنِينَ. هُوَ حُلْمٌ وَاحِدٌ. 27 وَالْبَقَرَاتُ السَّبْعُ الرَّقِيقَةُ الْقَبِيحَةُ الَّتِي طَلَعَتْ وَرَاءَهَا هِيَ سَبْعُ سِنِينَ، وَالسَّنَائِلُ السَّبْعُ الْفَارِغَةُ الْمَلْفُوحَةُ بِالرَّيْحِ الشَّرْقِيَّةِ تَكُونُ سَبْعَ سِنِينَ جُوعًا. 28 هُوَ الْأَمْرُ الَّذِي كَلَّمْتُ بِهِ فِرْعَوْنَ. قَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ لِفِرْعَوْنَ مَا هُوَ صَانِعٌ. 29 هُوَذَا سَبْعُ سِنِينَ قَادِمَةٌ شَبَعًا عَظِيمًا فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. 30 ثُمَّ تَقُومُ بَعْدَهَا سَبْعُ سِنِينَ جُوعًا، فَيُنْسَى كُلُّ الشَّبَعِ فِي أَرْضِ مِصْرَ وَيُتْلَفُ الْجُوعُ الْأَرْضَ. 31 وَلَا يُعْرَفُ الشَّبَعُ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْجُوعِ بَعْدَهُ، لِأَنَّهُ يَكُونُ شَدِيدًا جَدًّا. 32 وَأَمَّا عَنْ تَكَرُّرِ الْحُلْمِ عَلَى فِرْعَوْنَ مَرَّتَيْنِ، فَلِأَنَّ الْأَمْرَ مُقَرَّرٌ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ مُسْرِعٌ لِيَصْنَعَهُ. 33 «فَالآنَ لِيَنْظُرْ فِرْعَوْنَ رَجُلًا بَصِيرًا وَحَكِيمًا وَيَجْعَلُهُ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ. 34 يَفْعَلْ فِرْعَوْنَ فَيُؤَكِّلْ نُظَارًا عَلَى الْأَرْضِ، وَيَأْخُذْ خُمْسَ غَلَّةِ أَرْضِ مِصْرَ فِي سَنَةِ سِنِي الشَّبَعِ، 35 فَيَجْمَعُونَ جَمِيعَ طَعَامِ هَذِهِ السِّنِينَ الْجَيِّدَةِ الْقَادِمَةِ، وَيَخْزِنُونَ قَمَحًا تَحْتَ يَدِ

¹¹ مصباح كمال، مقتربات تاريخية واقتصادية ومعاصرة (بيروت: منتدى المعارف، 2022)، فصل "إطلالة على ابن خلدون وجذور التأمين في العالم العربي"، ص 39-46. نشرت أصلاً في مجلة الثقافة الجديدة، العدد 404-405، آذار 2019.



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق تأمينة

ولما أن سمع "أنو" كلامها سلّم عشتار سلسلة مقود الثور السماوي فأخذته وقادته إلى الأرض.¹⁴

* في الهامش 33 من كتابه **ملحمة جلجامش** يكتب طه باقر الآتي:

بخروج الموتى ومشاركتهم الأحياء في الطعام تحل المجاعة في الأرض ويُحرم حتى الالهة من الغذاء.

* في الهامش 54 يكتب طه باقر الآتي:

كان الأولى أن يقع القحط والمجاعة لو فعلت عشتار ما هددت به ولكن يبدو كما رأى بعض الباحثين أن ثور السماء برمز إلى الجفاف واحباس الماء.

امتد هذا التناص إلى النص القرآني كما اقتبسناه سابقاً (سورة يوسف: 43-49).

¹⁴ يمكن قراءة خلفية الحوار بين أنو وعشتار في ص 63 وما يعدها من نسخة الكتاب المتوفرة في الشبكة العنكبوتية:

<https://ia803003.us.archive.org/28/items/ktp2019-bk9138/ktp2019-bk9138.pdf>

أو بالإنجليزية في اللوح السادس في كتاب

Maureen Gallery Kovacs, *The Epic of Gilgamesh* (Stanford University Press, 1989), pp 49-56.

اقتبس شفيق مقار (مصدر سابق) النص التالي من طه باقر، **ملحمة جلجامش** (بغداد: سلسلة الكتب الحديثة، 1975)، ص ص 94 و 95:

"لو فعلت ما تريدينه مني وزودتك بثور السماء لحلت في أرض "أوروك" سبع سنين عجاف. فهل جمعت غلالاً لهذه السنين العجاف؟ وهل خزنت العلف للماشية؟ ففتحت عشتار فاهها وأجابت أباها أنو قائلة: "لقد جمعت ببادر الحبوب للناس، وخزنت العلف للماشية فلو حلت سبع سنين عجاف فقد خزنت غلالاً وعلفاً تكفي الناس والحيوان."



أوراق تأمينية

النص التوراتي، السومري المصدر، فيه تعالٍ وافتئات على قدرة المصريين القدماء في التعامل مع التغيرات الموسمية. وبهذا الشأن يقول شفيق مقار:

لكن الفرعون المنبهر – في حكاية التوراة – لم يكن ملماً بحكاية عشتار، فاعتبر يوسف عبقرياً عديماً القرين، رغم أن مصر كانت بلداً زراعياً من أماد طويلة واعتمدت على فيضان النيل وعانت بغير شك من انخفاض منسوب مياهه في بعض السنين، ومن موسم "التحاريق" السنوي – وككل بلد زراعي منظم لا يجوب أهله الفيافي ويتطفلون على أراضي الأقوام الأخرى ويسطون عليها – كانت مستطبعة بلا شك أن تخرج من تجربتها الطويلة بتلك القاعدة الزراعية البسيطة: التخزين في سني الوفرة لمواجهة احتياج سني الشح، وهي القاعدة التي أدمجها الفلاحون السومريون في أسطورتهم على لسان عشتار.¹⁵

يؤكد هذا العرض السريع أن الأفكار لها أصولها، وأنها يمكن أن تنتقل عبر الأجيال والقرون، وأنها تُطوّر لخدمة أغراض معينة في زمنها، وأنها موضوع للانتحال – وهذا ما لا يمكن اكتشافه إلا في وقت لاحق مع تطور أدوات البحث. وهكذا فإن ملحمة گلگامش، وهي الأقدم، كانت مصدراً للحكاية التوراتية وبعدها الحكاية القرآنية.

(4) تأصيل الجذور التاريخية الأولية للمؤسسات الحديثة التي تتعامل مع الخطر

لقد جاءت أسطورة حلم فرعون والحل الذي تقدم به يوسف في العهد القديم وبعد ذلك في القرآن كمؤشر أولي على كيفية استجابة البشر لما تخبئه الطبيعة من تقلبات مختلفة، بعضها كوارثية،

¹⁵ مقار، مصدر سابق، ص 78.



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق تأمينة

بفضل تراكم للأساطير الضاربة في القدم، كما حاولنا توثيقه في هذه الورقة.

ولنا أن ننظر إلي هذه النصوص الأسطورية على أنها تكثيف لتجربة البشر في العراق القديم في مواجهة الطبيعة وكيفية التعامل مع ما تحمله من آثار على حياتهم. أي أنها لم تنشأ من فراغ. لقد تحولت هذه النصوص، فيما بعد، إلى وسائل لتحقيق غايات معينة ذات طابع سياسي، كما يكتب شفيق مقار في قراءته السياسية للتوراة؛ أو تتحول إلى حكاية لاستنباط المواعظ منها كما في النص القرآني.

لعل المتخصصين في تاريخ حضارة العراق القديمة ينتبهون وينبهون لبعض الأشكال الأولية لإدارة الخطر والتأمين في المدونات القديمة. وهو ما سيساهم في تأصيل الجذور التاريخية الأولية للمؤسسات الحديثة التي تتعامل مع الخطر.

إن استعادة الأصل السومري لا يراد منه التعالي على المُنتجين الآخرين للأفكار ولكن لوضع الأمور في نصابها قدر الإمكان. ■

(*) كاتب في قضايا التأمين

نشر هذا المقال أصلاً في مجلة الثقافة الجديدة، العدد 438، تموز 2023، ص 43-49.

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر. 26 تموز 2023

<http://iraqieconomists.net/ar/>